محاضرات تاريخ الجزائر الاقتصادي

عبد الباسط قلفاط
أستاذ محاضر قسم العلوم الإنسانية
المستوى: سنة أولى ماستر
التخصص: تاريخ الجزائر الحديث

المحاضرة الأولى: الحرف في الجزائر: خصائصها وأنواعها

اذا كان النشاط الفلاحي يبرز فيه دور ريف المدينة اكثر من مركزها، فان الحرف الصناعية في الفترة الحديثة يبرز دورها وتنظيمها في المدينة اكثر من الريف، وهذا دون اغفال ارتباطها بالريف والمناطق الداخلية، باعتبار أن الفضاء الاخير كان مصدرا لكثير من المواد الاولية للحرف، وسوقا للكثير من منتوجاتها من جهة، اضافة الى أن أهالي المدن الداخلية كانت لهم نشاطات حرفية وتجارية بالمدينة، ويعملون كأجراء في مختلف الحرف داخل المدينة وضواحيها، ولذلك فرغم أن مركز النشاط الحرفي كان في المدينة، الا أنه كان مرتبطا بالفضاءات الاخرى، ويظهر هذا الارتباط في الجانبين الاقتصادي والاجتماعي في فضاءين أساسيين هما: أولا المدينة وفحوصها، وثانيها المناطق والمدن الداخلية، وقد أخذت مسائل نشاط ومشاكل القطاع الحرفي، وديونه وآثاره الاجتماعية في الفترة المعاصرة النصيب الاوفر في سجلات المحاكم الشرعية.

خصائص الحرف في الجزائر

كانت الحرف في الجزائر قبل الاحتلال من اهتمامات سكان المدن ومن حاجات سكان الريف، واشتملت على عدة قطاعات في النسيج والجلود والصناعات الحديدية والنحاسية وغيرها، وأشهر الصناعات النسيجية نجد الصناعات الحريرية، التي كانت في النصف الاول من القرن السابع عشر مزدهرة ومتطورة بسبب توفر المادة الاولية، ورواج المبادلات التجارية الدولية، وقد لعب العنصر الاندلسي دورا مهما في الصناعات النسيجية والحريرية منها خاصة، وعرف ممارسو هذه الصنعة بالحرارين، وكانت لهم سوقا عرفت باسمهم، يقع بشارع البحر في الجهة البحرية للجامع الاعظم، كما كانت لهم محلات وحوانيت في جهات اخرى من المدينة، واشتهرت أنواع المنتوجات الحريرية داخل البلاد وفي مدن المغرب وحواضر الشرق الاسلامي المتوسطية، كما انتشرت بعض ورش الحرارين في البليدة وشرشال، أما الريفيون فلم يكونوا يعرفون صناعة الحرير بل حتى استعمالاته كانت محدودة خارج المدن والحواضر لغلاء سعره.

عرفت المدن حرفا أخرى مثل الدباغة والحياكة والخياطة، وقد تعرضت كلها لنكبة الاحتلال؛ لقد ترك لنا حمدان خوجة صورة حية عن عملية التدمير المنظمة التي اتبعتها سلطات الاحتلال في السنوات الاولى لتهيئة "ساحة الحكومة"، فدمرت خمسة أسواق عمومية هي سوق القيصرية لنسخ الكتب وبيعها، وسوق القابس وسوق الحدادة وسوق القماش ومصنع الحرير.

أما الحرف الخدماتية المتنوعة والعديدة، فتأتي في المرتبة الاولى حرفة الحفافة ثم "القهواجية"، وكذلك الحواتين (صيد السمك وبيعه) والخضارين وغيرها، وهي حرف ضرورية لحاجات سكان المدينة وزوارها، وسنرى لاحقا ان أغلب انواع الحرف التي بقيت في نهاية القرن التاسع عشر هي من النوع الاخير.

أما اذا عدنا للفضاء الثاني، الذي ضم الحرف الريفية بالاوطان وقبائل السلسلة التلية، فقد تنوعت هي الاخرى ولكنها ارتبطت بطبيعة المادة الاولية المتوفرة بالضواحي والريف، وتميّزت بمحدودية الانتاج ونوعيته، وبمساهمة المرأة فيه بقوة، خاصة في الصناعات النسيجية والغذائية، ووجه الانتاج الحرفي للاستهلاك المحلي أساسا، وللتبادل بسلع اخرى مع سكان الجنوب والمدينة بدرجة ثانية، في الاسواق المحلية الموجودة بالاوطان والحواضر الاخرى.

وتعتبر الصناعات الخشبية أهم حرف الريف، وتعتمد على حطب ونباتات المناطق الداخلية، وتمثلت في صناعة أثاث البيوت والاواني والسلال؛ كما نجد الصناعات النسيجية، وأتقنت المرأة في الأوطان وقرى وخيم الهضاب العليا صناعة البرانس والقندورة وغطاء الرأس ونسج الصوف، والصناعات الغذائية كانت موجودة في كل البلاد، وتمثلت خاصة في صناعة الطحين والسكر والملح والزيت والصابون والخليع –اللحم المجفف والمملح) وغيرها، مما يشكل في العادة "عولة " المجتمع في الريف والمدينة.

تميّزت الحرف الريفية كونها ذات طابع حرفي أسري ومتنوع، تعتمد على المادة الاولية المحلية، وتتميز بعضها بنوعية جيدة لوجود الحرفيين المهرة، وفي قبائل الاطلس بقيت الحرف القديمة لحاجة الاقتصاد المحلي لها، فكانت كل عائلة تسعى لانتاج حاجاتها اليومية بوسائلها في مختلف الصناعات، ونشير في الاخير الى ان غياب البنية التنظيمية لحرف الريف ومحدودية الاحتكاك بالمدينة حدد دورها اقتصاديا واجتماعيا داخل البلاد وخارجها.

أهم الحرف

حرفة النسيج: تعتبر من أهم الحرف بالمدن والأرياف لاشتمالها على عدة حرف متفرعة عنها، لصناعة الملبوس والمفروش والأفرشة والأغطية وغيرها، وكانت ببعض المدن شبه مناطق صناعية ففي مدينة مازونة كان بها 1400 ءالة نسج، وضمت مدينة ندرومة حوالي 25 محل نسيج وهي مدن صغيرة بالمقارنة مع تلمسان ومدينة الجزائر؛ ولقد اشتهرت

زرابي مدن غرداية والأوراس والقلعة وغيرها، تمارس في البيوت من النساء بأدوات تقليدية موروثة بشكل يومي، وترتبط بحرفة النسيج حرفة التطريز، ويمارسها الرجال والنساء في البيوت والورش، ومادتها الأساسية خيوط الذهب والحرير والفضة على الأقمشة الحريرية والقطنية والجلود، وكذلك تتصل بحرفة النسيج ورش الدباغة لتلوين الجلود والأقمشة، وكانت بعض المدن معروفة بالدبغ كمازونة وأخرى بالتصنيع كتلمسان، ومعامل الدبغ عادة تكون خارج مركز المدينة.

صناعة الأواني الخشبية والفخارية: نجحت هذه الحرف نتيجة توفر المادة الأولية محليا، وكذلك لمساهمة الريف فيها، ودلّت الدراسات على البصمة التي أضافها الأندلسيون في تطور هذه الصناعة في المدن، اشتهرت في انتاج هذه الادوات في الغرب مدينتي تلمسان وندرومة، وفي الوسط بلاد القبائل، وتلحق بهذه الصناعة صناعة الحصائر وبعض الأثاث والأواني من نباتات و"دوم" وسعف النخيل وكل منطقة تنتج مما توفر لديها.

دار الصناعة بمدينة الجزائر: وهي مؤسسة تابعة للدولة أقامها خير الدين باشا، مكلفة بصناعة الأسلحة والبارود والمدافع وكذلك ضرب السكة، ومعادن الحديد والنحاس والرصاص المادة الأولية لذلك كانت متوفرة ببلاد القبائل وبالأطلس المتيجي؛ ولكن الأسلحة المصنوعة كانت أقل نوعية من نظيرتها القادمة من أروبا ذات التقنية العالية، ولذلك كثيرا ما كانت تستعين هذه الصناعات بالأوروبيين.

اضافة الى الصناعات الغذائية وورش صناعة مواد البناء كالجير والقرميد والجبس ولوح الجر(الأردواز)، وكذلك الصناعات الجلدية وحرف المجوهرات التي مورست في المدن والأرياف، وتعرضت لها المصادر الأروبية والدراسات الأكاديمية.

انتهت المحاضرة

محاضرات تاريخ الجزائر الاقتصادي

المستوى: سنة أولى ماستر
التخصص: تاريخ الجزائر الحديث

المحاضرة الثانية: الحرف في الجزائر: أدوارها وأهميتها

ترجع أهمية الحرف في الاقتصاد الى كونها تمثل حلقة وصل اساسية بين الانتاج والمبادلات التجارية، فجزء كبير من الانتاج الفلاحي يمر عبر الصناعات الغذائية وغيرها قبل ذهابه للاسواق والحوانيت، كما يوفر هذا القطاع الكثير من المصنوعات للسوق المحلية والخارجية، وفي المقابل

يعتمد الحرفيون على مختلف المواد الاولية التي يوفرها القطاع الفلاحي، أو يجلبها التجار من داخل البلاد وخارجها.

كما لا يخفى على الباحث في الموضوع الدور الاجتماعي والحضاري الذي لعبته التنظيمات الحرفية في المدينة وخارجها، عندما كانت تتعاون مع مختلف مؤسسات الدولة والمجتمع في شبكة من العلاقات المتداخلة، تمكنها من المحافظة على حقوقها والمشاركة في تنمية النشاط الاقتصادي، وحماية المجتمع من كل ما يهدد بنيانه وتماسكه.

تقدم لنا وثائق المحاكم الشرعية وسجلات البايلك قائمة للجماعات الحرفية التي كانت موجودة بالمدينة وقد أوردها بعض الباحثين في قائمة من 106 جماعة(1)، وقد غطت تلك التنظيمات حاجة مجتمع المدينة وضواحيها، وتعاونت فيما بينها وبين مؤسسات الدولة والمجتمع اقتصاديا واجتماعيا، فساهمت في دفع الضرائب وتنظيم الانشطة الاقتصادية بالمدينة والسهر على حقوق الحرفيين، والمشاركة في الحراسة الليلية للمدينة وغيرها.

من مظاهر التنظيم الحرفي هو تقسيم العمل، وتفرع الجماعة الحرفية الى عدد من الجماعات، تختص كل واحدة منها بنوع من العمل، أو بمنطقة اقتصادية جغرافية محددة، –السوق او الحارة أو الزقاق- ضمن الاهتمام والاختصاص العام للجماعة الحرفية، نجد هذا عند أغلب الحرف، مثل حرفة الحمالين والدلالين والحرارين والبنائين والصناعة الجلدية وصناعة الاسلحة(2).

تعاونت التنظيمات مع العلماء والقضاة ممثلي الهيئات الدينية والثقافية، ومع آغا العرب وشيخ البلد والباي والداي ممثلي المؤسسات الادارية المحلية والمركزية، وغطي ذلك التعاون كل ما يتعلق بالبناء الاقتصادي والاجتماعي في المدينة، فتعقد لأجل ذلك المجالس في الاسواق والمحاكم والمجلس العلمي، وأحيانا حتى بقصر الداي الذي كثيرا ما يتدخل ويشرف بنفسه على حل النزاعات بين مختلف الفئات، وتحديد

---

[1] - عند عائشة غطاس، الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر(1700-1830)، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 2012 ص 110-111.

[2] - Touati Houari, Les Corporations de Métiers à Alger à l'époque Ottomane, Revue d'histoire Maghrébine, N° 45-46,Juin 1987, pp. 271,272.

أسعار المواد الضرورية، سواء الغذائية منها كالقمح والخبز والتمر، أو المعدة للصناعات الحرفية كالفحم والجلود، دون إلغاء دور الحرف الاقتصادي والاجتماعي، مع التعاون بين كل تلك المؤسسات وأعيان المدينة في شبكة من العلاقات الحضارية، تنبئ بوجود مؤسسات مجتمع متكاملة وقادرة على مواجهة كل التحديات الطارئة.

لقد شكلت النقابات الحرفية آلية ضرورية في المجتمع، بالتعاون مع السلطة السياسية والقضائية في تسيير شؤون المدينة الاقتصادية والاجتماعية، فكانت الاتفاقات التي تضمنها قانون الاسواق تشكل مرجعية للحرفيين والقضاة معا في حل الكثير من المنازعات؛ ولذلك فان غياب تلك النقابات في الريف مع فقدان المبادرة، وتنوع وسائل ومستوى معيشة السكان، حدد دور مهن الريف في المبادلات التجارية التي لم تتجاوز الاسواق المحلية، كما غاب دورها في العلاقات الاجتماعية.

ان هذا الدور للقطاع الحرفي سيتراجع مع كارثة الاحتلال تدريجيا "كالمصباح الذي يفقد زيته"(3)، هذا التراجع الذي يمس الامكانيات الاقتصادية للقطاع والدور الاجتماعي للحرفيين، وهو ما كشفت عنه سجلات المحاكم الشرعية والمصادرة التاريخية والدراسات الأكاديمية.

ان ابرز ما ميّز النشاط الحرفي في الجزائر في الفترة الحديثة هو مساهم الكثير من الحرفيين في توفير احتياجات الجيش في الصناعات الحرفية والخشبية والحديدية وبعض الحرف الخدماتية كالحفافة، بل انضم عدد من الحرفيين للجيش، وبالمقابل انضمام بعض أفراد المؤسسة العسكرية للقطاع الحرفي، وتبرز هذه الميزة خاصة في المهن المرتبطة بحاجات الجيش، سواء كانت حرف صناعية او خدماتية.

كانت العائلات المشرفة على النشاطات الحرفية من العائلات الثرية، التي مارست بالاضافة الى الحرف النشاط البحري والتجارة، وهو ما يبرر سيطرة فئة التجار على أمانات الحرف وعلى السوق المحلية والوضع الاقتصادي عامة، وهي ميزة مشتركة بين البلدان العربية.

---

[3] - العبارة لقولفن لوسيان Lucien Golvin), Aspects de l’artisanat en Afrique du nord, Presses universitaires, Paris, 1957, p. 28.

تميزت الصناعات الحرفية في الريف بمحدودية الانتاج رغم تنوعه، باعتباره موجه للاستهلاك المحلي بالدرجة الاولى؛ ومن مميزات المجتمع الحرفي الحفاظ على التقاليد الموروثة في الصنايع، ومنها استمرارية الحرفة في العائلة، لاسيما في العائلات التي تولت امانة الصنعة، وهي ظاهرة كانت موجودة في وظائف أخرى مثل الهيئات العلمية والعسكرية وغيرها، كما كانت هناك قيم أخلاقية وحضارية ساهم الحرفيون بالتعاون مع قوى المجتمع في الحفاظ عليها، كقيم التكافل والتضامن، والوقوف المادي والادبي مع الحرفيين عند حدوث المصائب والازمات، والتعاون في اطار الجماعات الحرفية في تسيير شؤون المدينة الاقتصادية والاجتماعية. ان هذا الدور للقطاع الحرفي سيتراجع تدريجيا بعد الاحتلال، هذا التراجع الذي يمس الامكانيات الاقتصادية للقطاع والدور الاجتماعي للحرفيين.

أهم المراجع لمحاضرات الحرف في الجزائر في الفترة الحديثة

- سعيدوني ناصر الدين، الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني 1791-1830، دار البصائر، الجزائر، 2013.
- غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية - اقتصادية، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، رويبة، 2012.
- عبد الباسط قلفاط، أزمات الحرف في مدينة الجزائر نهاية القرن19 من خلال السجلات المخطوطة للمحاكم الشرعية، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع 15، ديسمبر 2016.
- محفوظ رموم، النشاط الفلاحي والحرفي ونمط الانتاج في الجزائر بين 1700-1830، مجلة البحث التاريخي، ع، 13-14، السنة: 2016-2017.

انتهت المحاضرة الثانية

المحاضرة الثالثة في مقياس تاريخ الجزائر الاقتصادي
تخصص:سنة أولى ماستر تاريخ الجزائر الحديث

قدرات النشاط التجاري في الجزائر خلال الفترة الحديثة

مقدمة

ترجع أهمية قطاع التجارة في النشاط الاقتصادي عامة الى عدة عوامل اهمها: احتلاله لموقع وسط بين مراكز الانتاج الفلاحي والصناعي، وبين فضاءات الاستهلاك المختلفة، وكذلك الى شبكة العلاقات التي يملكها التجار مع كل الفئات الاجتماعية والاقتصادية داخل المدينة وخارجها، لا سيما اذا كانت هذه المدينة ذات وزن تاريخي وبعد استراتيجي، كمدينة الجزائر في الفترة الحديثة، وعلى اتصال وثيق بالعالم الخارجي؛ لقد مكّنت هذه الشروط تجار المدينة من التربع على مكانة متميزة بين فئات المجتمع، والمساهمة الفعالة في الحراك السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

تتطرق هذه المحاضرة الى مجموعة من العوامل التي تمثل أهم عناصر قدرات النشاط التجاري، وهي قدرات طبيعية وبشرية وحضارية، تشمل التجارة الداخلية والخارجية، وتتفوق الجزائر في هذه العناصر على نظيرتها في كل من تونس والمغرب الأقصى، حيث تنفتح البلاد على أقطار عربية وأقاليم صحراوية والدولة العثمانية، ورغم أن التجارة الخارجية مع أروبا كانت بيد الأوروبيين فان البحرية الجزائرية كثيرا ما وفرت ظروف تطور التجارة المحلية.

الموقع الاستراتيجي: يعتبر الموقع الجغرافي للجزائر من أهم عوامل ازدهار النشاط التجاري عبر التاريخ، فهي تتوسط المغربين الأدنى والأوسط، وترتبط بالصحراء الكبرى بواسطة مجموعة من الحواضر التجارية الواقعة داخل البلاد أو على الحدود مثل:ورجلة – وادي سوف – بسكرة – قسنطينة – مدينة الجزائر – تلمسان – تقرت – توات – غدامس – تمبكتو - غات وغيرها، وترتبط تلك الحواضر شبكة من الطرق التجارية الصغرى والكبرى وتصلها بطرق أخرى "دولية" تضمن وصول وارداتها وصادراتها من والى بلاد المشرق وافريقيا وأروبا.

تنوع وتوفر الانتاج الفلاحي والحرفي: العامل الثاني للنشاط التجاري في الجزائر هو توفر وتنوع الانتاج الفلاحي والحرفي وكذلك المواد الأولية لعدد من المنتوجات، فمن زراعة القمح والشعير الى غرس مختلف الخضروات والأشجار المثمرة كالكروم والحمضيات والتين والزيتون، اضافة الى الثروة الحيوانية المتنوعة بتنوع الأقاليم المناخية، هذه الأخيرة التي توفر مادة أولية لعدد من الصناعات الغذائية والحرفية، وقدرة النشاط الحرفي على الاندماج في الحركة الاقتصادية الاقليمية شجع التبادل التجاري، وشجع بعض الفئات الاجتماعية في المدن والحواضر على العيش في مستوى متوسط فما فوق، واقتناء سلع وبضائع أجنبية لتأثيث البيوت وللملبوس وغيره.

إمكانيات المبادلات المحلية: بالنسبة للتجارة الداخلية فقد ساعدتها توفر مجموعة من الأسواق في الأوطان والقبائل، وغالبا ما تكون أسواقا أسبوعيا تعقد في الساحات الكبرى أو بين مجموعة من القبائل والاوطان، وتتوفر فيها كل ما يحتاجه السكان من بضائع محلية أو دولية، ويسهر على تنظيمها اضافة الى السلطات منظمات أو نقابات تضمن حقوق فئة التجار وتنظم السوق وتساهم في توفير الأمن وجمع الرسوم؛ ويرتبط بازدهار النشاط التجاري توفر الأمن بالأسواق والطرقات، خاصة في المناطق الساحلية والهضاب العليا، اضافة الى توفر وسائل النقل البرية للمسافات القريبة والبعيدة؛ وما يقال عن الأسواق يقال عن أهمية المراسي والموانئ البحرية المتواجدة من الشرق الى الغرب وهي مستغلة من التجار الجزائريين خاصة للمبادلات المحلية والعربية، أما التجارة مع أوروبا فكانت من اختصاص الأجانب.

الحرية التجارية: ومن العوامل كذلك الحرية التجارية والمتمثلة في امكانية توريد وتصدير مختلف السلع من بلد لآخر، وهي ليست حقا لفئة دون أخرى على الأقل في القرنين 16 و17 ولا سيما في المناطق الداخلية والجنوبية، وساند هذه الحرية توفر رأسمال محلي خاص سمح باستمرارية التجارة المحلية والدولية البرية التي كانت تتم مع حواضر بلاد السودان في الجنوب والبلاد العربية في المغرب والمشرق، وهناك عامل حضاري ساهم في تنشيط التجارة الخارجية بين الجزائر وإقليمها العربي الإسلامي الإفريقي، وهو ما جعلها تشترك في أذواقها وسلعها وقوانين تنظيم تجارتها، وهي قوانين بخلفية شرعية فقهية واحدة، وبمنظومة قيمية مشتركة.

كل هذه العوامل وغيرها سمحت بوجود وفرة في عدد من المحاصيل والسلع بأسعار في متناول أغلب الجزائريين في المدن والأرياف، وفائض الانتاج الاقتصادي المحلي نشّط حركة الصادرات، والنشاط الحرفي هو الآخر سمح باستيراد عدد من السلع الأجنبية وبعض المواد الأولية كالحرير والعاج، وخلف هذه النتائج والوفرة كانت توجد مؤسسات مجتمع قوية وفرت حماية مادية ومعنوية لكل الفئات الاجتماعية، وعلى رأس تلك المؤسسات نجد هيأة الأوقاف والنقابات الحرفية.

لقد كان للجانب التجاري في تاريخ الجزائر الحديث دور بارز في توجيه العلاقات الخارجية لا سيما مع أوروبا، وبناء التحالفات الداخلية بين السلطة والمجتمع؛ ومساهمة النشاط التجاري بصفة عامة في تموين الخزينة وإيجاد مداخيل مضمونة لصرفها على النشاط العسكري خاصة هو ما جعل السلطة تقوم باحتكار بعض فروع التجارة خاصة في المواد الزراعية والحيوانية كالقمح والصوف والشموع، وهي الحالة التي سمحت باحتكار اليهود والفرنسيين للتجارة الخارجية وجزء من التجارة الداخلية، على حساب نمو تجارة الخواص التي كانت نشطة في دواخل البلاد والجهة الجنوبية؛ اضافة الى غياب عقلية اقتصادية استثمارية كالتي كانت موجودة في أروبا بداية من القرن 16، تلك العقلية التي نقلت الاقتصاد الأوروبي من الرأسمال الزراعي الاقطاعي الى الرأسمال التجاري البرجوازي عبر ما اصطلح على تسميته تاريخيا "بالثورة الاقتصادية" خلال القرنين 16 و17.

انتهت المحاضرة الثالثة

المحاضرة الرابعة في مقياس تاريخ الجزائر الاقتصادي
تخصص: سنة أولى ماستر تاريخ الجزائر الحديث

التجارة الداخلية: خصائصها وأهميتها

قامت التجارة الداخلية على الأسواق الموجودة في المدن وخارجها، وكذلك على توفر الأمن وشبكة المواصلات التي كانت موزعة في كل جهات البلاد، وتضمن حركة السلع والبضائع من داخل وخارج البلاد، واضافة الى الأسواق نجد الفنادق في المدن التي تخصص لتجارة الجملة، وكذلك الحوانيت التي توفر مختلف البضائع والسلع من مأكول وملبوس وأثاث وغيره، وتسمى في الوثائق المحلية مثلا بـــ: محلات السكاكرية وتحتوي على ما يعرف اليوم بمختلف المواد الغذائية وأخرى للسلع المختلفة كالصوف والأقمشة وبعض الأثاث، وتوجد محلات الدخاخية والمطاحن والخضارين والسمانين وغيرهم

الأسواق: مثلت الاسواق محور الحياة الاقتصادية في مجتمع المدن وضواحيها في الفترة الحديثة، وهو ما بيّنته وثائق المحاكم الشرعية وكتب الرحالة والقناصل، أسواق المدن صغيرة وهي أسواق يومية في غالبها توفر احتياجات السكان، تقام في الساحات أو الرحبات، وبعضها كان مخصصا لنوع معين من المحاصيل والسلع، توزع النشاط الاقتصادي والتجاري بالمدينة على عدة انواع من المراكز والفضاءات وهي: الاسواق- السويقات- الحوانيت- الفنادق- الرحبات، والنشاطات الاقتصادية تركزت في مدينة الجزائر في محورين اساسيين هما محور باب عزون باب الوادي، والمسمى بالسوق الكبير، والمحور الثاني في شارع باب الجزيرة الذي يبدأ من سوق الكبير الى الجنينة وجامع السيدة، وقد وجد بهذين المحورين 15 سوقا ، وقد تعرض هذا السوق الأخير للتهديم في بداية الاحتلال بحجة توسيع الطرقات وخدمة الصالح العام. يقول الرحالة الالماني فاغنر اثناء زيارته للجزائر في السنوات الاولى للاحتلال: "...وكانت في الجزائر اسواق تحتوي على اكثر من أربعين محلا، الا ان القسم الاكبر منها بل اجملها واجدرها بالاعتبار قد هدم، وقامت في مكانها محلات ودكاكين تجار اروبيين...".

عرفت مدينة الجزائر الى جانب الاسواق السويقات المخصصة هي الأخرى للاحتياجات اليومية وتتميز بقلة عدد الدكاكين، مثل سويقة باب الواد وسويقة سيدي محمد الشريف، ونجد كذلك بالمدينة الرحبات وهي ساحات عامة مكشوفة مخصصة لنشاط أو منتوج محدد، كرحبة القمح ورحبة الشعير ورحبة الدواب.

نفس هذا النوع من التنظيم نجده في باقي الحواضر والمدن االجزائرية، أما في ضواحي المدن والأوطان والريف فنجد الأسواق الأسبوعية، التي توفر الاحتياجات اليومية وتجارة الجملة فيقصدها التجار والسكان، وتتميز بأنها توفر كل الاحتياجات من زراعية وحيوانية

وحرفية وثقافية، وهي ملتقى اقتصادي وحضاري يحضره حتى القاضي للنظر في المنازعات وتسجيل مختلف المعاملات الاقتصادية والارتباطات الاجتماعية.

أهم هذه الأسواق في دار السلطان نجد سوق الحراش يعقد بيوم الجمعة، وسوق وطن بن خليل بيوم الاثنين وهو الذي حولته الادارة الاستعمار في الستينات الى سوق بوفاريك، وفي بايلك التيطري تعقد فيها عدة أسواق منها العذاورة، وأولاد مختار، وسوق الربايع الواقعة جنوب المدية؛ وفي بايلك قسنطينة: سوق أولاد عبد النور،والحراكتة، وتلاغمة؛ أما في بايلك الغرب فأهمها: سوق الجعفرة بنواحي بسعيدة، وأوالد عياد وأولاد الأكراد بالشلف، أما منطقة القبائل فاشتهرت بعدد أسواقها التي كانت تعقد في كل أعراشه

الفنـادق: ارتبط مجال السوق في الفترة الحديثة كذلك بالفنادق، وهي مقرات التجارة والبيع بالجملة، وعرفت هي الاخرى تخصصات حسب طبيعة الحرف ونوعية النشاط التجاري، تضم غرفا وحوانيت للتجارة، ومساكن لمبيت التجار القادمين من خارج المدينة، وقد اختص بعضها بالتجارة الخارجية، وأخرى بالنشاط الحرفي، او كما يسميها بعض الكتاب بـ "فنادق الورش الصناعية"، الواقعة في الاحياء الحرفية والصناعية والتجارية، وأهمها: فندق كتشاوة-فندق القهوة الكبيرة- فندق العسل وغيرها[4]؛ ولكن اختفى جلها بعد التدمير الذي طال المركز الاقتصادي للمدينة في بداية الاحتلال، والانقلاب الذي حدث للنشاط التجاري خلال القرن التاسع عشر.

لم نجد لهذه الفنادق ذكرا في رسوم القضاة نهاية القرن التاسع عشر، ويبدو أنها عوضت بالحمامات كمقرات سكن الوافدين الى المدينة من الاجراء و"الحوانتية"وصغار التجار، كما كانت تؤجر بعض الغرف للحرفيين؛ واصبحت تلك الحمامات مراقبة من طرف الادارة الاستعمارية، فقد كشفت لنا احدى رسوم المحكمة الحنفية عن وظيفة "الكاتب" بالحمامات الذي يقوم بتسجيل الواردين لكل حمام بسجلات خاصة، ثم يسلمها لقسم الشرطة يوميا، ونتيجة لعبئ المهمة، كان يستعين بـ"حمّال" ينقل له تلك السجلات يوميا بين مكتبه-أجر دكانا لهذه الوظيفة- ومقر الشرطة[5].

وبهذا انتظمت في المدينة مختلف النشاطات الحرفية والتجارية، التي كانت مرتبطة ببعضها، وبالنشاط الفلاحي القادم من خارجها، اضافة الى الحضور الثقافي

---

[4]- انظر وصف أحد الرحالة الاروبيين للفنادق عند MOHAMED Amine, Commerce Extérieur et Commerçants d'Alger à la fin de l'époque Ottomane(1792-1830), thèse de doctorat, univ Aix-Marseille, 1991, p.95. عددت الأستاذة غطاس 45 فندقا بمدينة الجزائر. عائشة غطاس،الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، صص 217 الى 220

[5]- ان مراقبة السلطة الاستعمارية للاسواق في المدينة وخارجها كان ضمن الاستراتيجية الادارية والامنية، وللانتفاع بمداخيلها، ولكنها تخلت عن مراقبة النشاط الاقتصادي والتجاري بها، مما سمح بانتشار عمليات الاحتكار والسرقات، وغاب الامن والتنظيم والسير الحسن بالمقارنة بالفترة الحديثة حين كان يساهم المحتسبون والقضاة والامناء وممثلي الادارة المحلية في تنظيمها وحماية التجار والفلاحين والواردين اليها، ومن مظاهر ذلك اقامة الاسواق بالقرب من مؤسسات السلطة ومقرات المحاكم.

والعلمي والاجتماعي عن طريق عدة مؤسسات كالأوقاف والمساجد والنقابات الحرفية وغيرها، حتى أصبحت المدينة مقصد التجار والرحالة، وترك بعضهم وصفا لها ولنشاطها التجاري، منهم الرحالة والمؤرخ حسن الوزان الذي وصف المدينة واسواقها بقوله:"تتألف من بيوت جميلة واسواق جيدة التنسيق لكل منها مكانها الخاص"[6]، وجاء في كتاب الرحالة والسفير المغربي "التمقروتي" الوصف التالي للمدينة واسواقها "الجزائر عامرة كثيرة الاسواق...فبلادهم لذلك افضل من جميع بلاد افريقيا وأعمر واكثر تجارة وفضلا وأنفذ اسواقا واجود سلعة حتى يسمونها اسطنبول الصغرى"[7]؛ وحسب بعض الباحثين فقد بلغت أسواق المدينة في نهاية القرن 18 واحدا وخمسين سوقا بالمدينة، التي ورد ذكرها في وثائق المحاكم الشرعية[8].

واضافة إلى الأسواق الأسبوعية هناك الأسواق السنوية التي يتم فيها تبادل بضائع وسلع الجنوب وبلاد السودان والصحراء، والمتمثلة في التمور والماشية والصوف وريش النعام والعاج والتبر بمنتوجات التل مثل الحبوب والزيوت والتين...إلخ، كما تعقد أسواق سنوية يتم فيها تبادل منتوجات المناطق الجبلية بمنتوجات المناطق السهلية، كما هو حال الكثير من سكان بني عباس – القبائل الصغرى-ومجانة الذين كانوا يبيعون زيتهم في بوسعادة مقايضة بالصوف.

مراجع اضافية

- ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية باقليم مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني
- محمد العربي الزبير، التجارة الخارجية للشرق الجزائري.
- مشرفي جميلة – بوغفالة ودان، الأسواق في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 08، ع 1، جوان 2017
- أمير يوسف، الواقع الاقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة قضايا تاريخية، ع 1، 2016.

[6] - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر، ص، 207.

[7] نقلا عن مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحالات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ص،57-58.

[8] - غطاس، مرجع سابق، ص208-209.